بين الكون والكينونة

فقراء النفس لا تخلو عقولهم من خلل. ولو عقلوا لتمتّعوا في الآتي من الأيام بما جمعوه أو جمعهم الشرفاء العقلاء المتنوّرون ولَما حُرموا لذة العيش. يلبسون جلود الثعالب ويتقنون وسائل الغش والخداع. ولكنّ تلوث البيئة والأوبئة الجانحة وسواها لا تعرف حدوداً. فإلامَ عمههم وشذوذهم؟

يجهلون مثلاً ان الفلسفة لا تتناول حصراً العالم الأثيري والماوراني - وهذا من الأهمية بمكان - وإنما أيضاً الواقع التاريخي والاجتماعي. أوَلا تنطوي النصوص الورانية وحتى الدينية على جوانب أخلاقية وواقعية وعملية؟

ان النصوص هذه تنطوي على ثلاثة أبعاد:

١- بُعد الأحكام الأخلاقية، كما في قولنا ان الحياة البشرية روحانية مقدّسة.

٢- بُعد التدابير الواقعية، كما في قولنا ان الحياة البشرية تبدأ لحظة حصول الحمل.

٣- بُعد التوفيق بين الأحكام الأخلاقية والتدابير الواقعية، مما تنجم عنه ارشادات عملية، كما في قولنا انه ينبغي لنا ألا نسمح بالإجهاض حتى بعد حصول الحمل بيوم واحد.

ليست للعلم القدرة على رفض الأحكام الأخلاقية أو إثبات صحتها. بيد أن للعلماء آراء حول التدابير الدينية الواقعية. ان علماء الأحياء أكثر أهلية من رجال الدين للإجابة عن المسائل الواقعية من مثل: «هل للأجنّة جهاز عصبي بعد حدوث الحمل بأسبوع واحد؟ هل ترانا نشعر بالألم؟...».

ينبغي لا أن نفصل، بل أن نميّز بين نزعة الفلسفة الكونية والنزعة الكيانية. خلال المسيرة الفلسفية الطويلة، جرى تركيز على الكون ثم على الكينونة البشرية. بين هاتين الفئتين من الاشكاليات، إشكاليات وأسئلة لا إلى انتهاء. ومن الصعوبة بمكان التوفيق الكامل بين الطرحين الأساسيين، هذا ما حاوله فلاسفة الغرب، جزئياً، بفضل فلسفة ابن رشد العربي الذي رفض العرب طروحاته. فكان ما كان من تخلّف وتقدّم هناك مع ما يشوب التخلف والتقدم من نواقص ومحاذير نشعر بتبعاتها كل يوم ولو بدرجات.

د. جهاد نعمان
استاذ في المعهد العالي للدكتوراه